

وما سواها (250)

البشرية والحياة على أرضٍ تدور!! (1)



د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

لم يخطر على بال أمنا الأرض بأنها ستحمل هذه البلايين المتزايدة من البشر ، فقد تعودت أن تأكلهم وتحصدهم حصدا بما توفره من عوامل إفتائية ، وعناصر تدميرية لوجودهم ، فحملت بضعة ملايين منهم على مدار القرون ، وما تجاوز عدد أهليها في أفضل الأحوال بضعة بلايين.

لكنها ، وخصوصا منذ بدايات النصف الثاني من القرن العشرين ، وجدت أن البشر قد تمكن من الانتصار على حيلها القاضية بتحديد عدده وإبادة الملايين منه في ظرف أيام ، بأوبئة لا قبل له على مقاومتها.

فعلى مدى سبعة عقود والبشرية تجتهد في إبتكار ما يؤهلها لمواجهة صولات الأوبئة السارية والمعدية ، وتمكنت من التخلص من الجدري والطاعون ، وتحجيم وبائية الإنفلونزا ، وغيرها من الأمراض الفايروسية الفتاكة.

واليوم تعيش البشرية أزهى عصورها وأقدرها على مكافحة الأمراض ، لكنها في الوقت نفسه ، قد تمكنت من صناعة الأسلحة التي تتفوق على الأوبئة في إبادتها وتدميرها للوجود البشري ، مما يعني أنها قد تساهم في إنزلاق وجودها إلى وديان الفناء .

وهذه بعض التفاعلات مع الحالة التي يغفلها البشر ، ويتناسى أنه ربما على شفا حفرة من الخطر!!

أولا: المضادات البشرية!!؟

كما هو معروف فإن إكتشاف البنسلين من قبل العالم (فلمنك) قد أحدث ثورة علاجية ، تنامت وتطورت في محاربة الجراثيم ، التي تهاجم البدن وتصيبه بالإلتهابات التي تقضي عليه.

وقد وصفت هذه العلاجات بالمضادات الحيوية ، وهي سموم تنتجها أنواع من البكتريا للقضاء على أنواع أخرى ، أي أنها إفرازات أو منتجات جرثومية يتم توظيفها لقتل الجراثيم الضارة بالجسم.

وهي نوع من آليات الصراع من أجل البقاء ، والحفاظ على التوازن ما بين المخلوقات المجهرية.

واليوم يتم التلاعب بالمووروثات الجينية لإنتاج ما يكروبات مؤهلة لإبادة الميكروبات الضارة ، أي أن الجسم البشري سيتسلح بالجراثيم القادرة على حراسته من هجمات الجراثيم الضارة والفتاكة بوجوده.

فالجراثيم تقتل الجراثيم.

لم يخطر على بال أمنا الأرض بأنها ستحمل هذه البلايين المتزايدة من البشر ، فقد تعودت أن تأكلهم وتحصدهم حصدا بما توفره من عوامل إفتائية ، وعناصر تدميرية لوجودهم

بدايات النصف الثاني من القرن العشرين ، وجدت أن البشر قد تمكن من الانتصار على حيلها القاضية بتحديد عدده وإبادة الملايين منه في ظرف أيام

اليوم تعيش البشرية أزهى عصورها وأقدرها على مكافحة الأمراض ، لكنها في الوقت نفسه ، قد تمكنت من صناعة الأسلحة التي تتفوق على الأوبئة في إبادتها وتدميرها للوجود البشري

إكتشاف البنسلين من قبل العالم (فلمنك) قد أحدث ثورة علاجية ، تنامت وتطورت في محاربة الجراثيم ، التي تهاجم البدن وتصيبه بالإلتهابات التي تقضي عليه

وفي عالم البشر يمكن وبسهولة متوارثة تحويل البشر إلى عدو للبشر , وقوة لقتله وإبادته , ولا يحتاج إنتاج البشر الفتاك بالبشر إلا لبضعة محاولات مكررة تعيد تنظيم وبرمجة دماغه , كما يتم برمجة أي جهاز كومبيوتر وفي وقت قياسي , حيث تجده قد تحوّل إلى طاقة عدوانية ذات قدرات إنتحارية وتدميرية فائقة.

فما عادت الحاجة قائمة لجيوش نظامية ومواجهات تقليدية للقضاء على أي عدو مهما كان صنفه , ذلك أن من الممكن تحويل مفردات وعناصر الهدف إلى قوة مدمرة له , فتتجزأ نصرا بخسائر قليلة جدا.

لأن الهدف سيقا تل نفسه , ويحقق تمزقا إتلافيا , وتسري فيه طاقات إنقراضية , وتتمو إستعدادات للتبعية وتنفيذ إرادة الذي يستهدفه , لأن عناصر الهدف قد تحوّلت إلى شظايا متطايرة تبحث عن موضع تتحصن فيه من ذاتها وموضوعها , فتكون أسهل صيد وأرخص أداة للوصول إلى أروع الإنجازات والإنصارات.

وما يحصل من تفاعلات , كأنها ترجمة رائعة لهذه الفكرة , وتنفيذ مخلص خلاق لآلياتها ومفرداتها , التي تتوالد وتهيمن على نبض الوجود , وتطعمه مرارة الهزائم والخيبات والتداعيات المفعمة بالتناحرات الخلاقة , التي تختزن طاقات إنشطارية فتاكة.

ذلك بإختصار وتركيز ما يدور في أروقة بعض المجتمعات , التي تجرثمت فيها النفوس والأفكار والعقائد والأرواح , وتبعثر السلوك وتفاقت الأزمات , وفقا لهذا الإضطراب المصنّع في مختبرات إبادة الشعوب وإفتراس الحضارات.

وفي زمن يختلط فيه الحابل بالنابل , تكون الحكمة نوعا من الهذيان , والتعقل فعلا جبانا , وصوت الحق كفرا وبهتاننا , فطبول الويلات تقررها التداعيات , ونداءات الوعيد تطلقها الصراعات , بعد أن تحوّل الشر إلى دين , وفعل الخير مشين , والدين يفترس جوهر الدين , والناس في أنين , والأرض سابعة تلتهم الواعدين!!

فهل سُدرك اللعبة , وتُرفع رايات المحبة , أم أنها كربة تلد كربة!!؟

ثانيا: البشرية إلى أين!!؟

العالم وحدة إدارية إقتصادية عسكرية عقائدية فكرية متفاعلة , فما يحصل في أي مكان منه يؤثر بكامله , بسبب الثورة العلو ماتية التواصلية التي لم تعهدها البشرية من قبل , وهي في تطورات متصاعدة ومذهلة!!

وعبر العصور للزمن طبائع سلوكية متصلة بالتفاعلات البشرية وما تتسبب به من تراكم طاقات وضغطها في أوعية القرون , حتى لتنفجر وتحقق صخباً مدويا وهائلا يعصف بأركان الوجود ويؤدي لحروب وصراعات مرعبة.

ولكل قرن فترات من التصعيد العارم تتحقق في ربعه الأول والثاني ومن ثم تتواصل بدرجات أقل , وهذا السلوك يتناسب طرديا مع عدد سكان الأرض , مما يعني أن القرن الحالي سيحتدم فيه الصراع القاسي وبموجات تصعيدية فائقة , وسيكون عددها مرهونا بقوتها وعنفوانها , فكلما زادت قوتها التدميرية قل عددها , لأن الأرض تستعيد رشدها وتوازنها بالجرعات القوية , التي تضعها في فترة نقاهة سلوكية لبضعة عقود ومن ثم تمارس جنونها الفتاك.

اليوم يتم التلاعب بالمووروثات الجينية لإنتاج ما يكوروبات مؤهلة لإبادة الميكروبات الضارة , أي أن الجسم البشري سيتسلع بالجراثيم القادرة على حراسته من هجمات الجراثيم الضارة والفتاكة بوجوده

الجراثيم تقتل الجراثيم. وفي عالم البشر يمكن وبسهولة متوارثة تحويل البشر إلى عدو للبشر , وقوة لقتله وإبادته

لا يحتاج إنتاج البشر الفتاك بالبشر إلا لبضعة محاولات مكررة تعيد تنظيم وبرمجة دماغه

ذلك بإختصار وتركيز ما يدور في أروقة بعض المجتمعات , التي تجرثمت فيها النفوس والأفكار والعقائد والأرواح , وتبعثر السلوك وتفاقت الأزمات

في زمن يختلط فيه الحابل بالنابل , تكون الحكمة نوعا من المذيان , والتعقل فعلا جبانا , وصوت الحق كفرا وبهتاننا

هل سُدرك اللعبة , وتُرفع رايات المحبة , أم أنها كربة تلد كربة!!؟

العالم وحدة إدارية إقتصادية عسكرية عقائدية فكرية

وما يجري في منطقتنا لا يشذ عن هذا القانون الأرضي , الذي يقيدنا وفقا لآليات الجذب الفعال والدوران المتسبب بالغثيان , وعليه فإن الأحداث ستتنتشر وكأنها الفيروس الشديد العدوى , الذي سيصيب البشر في كل مكان , وقد أخذنا نسمع ونرى نتائج الإصابة به في أرجاء المعمورة , التي لربما ستصبح مخمورة بنبيذ الخراب.

ولكي تواجه البشرية قدرها ومصيرها عليها أن تفعل ما فعلته الأجيال السابقة حيث خاضت حروبها العالمية , ولا خيار عندها إلا بهذا الجنون المفروض عليها , وإلا فإن أيامها ستتحول إلى أهوال وتفاعلات دامية متفجرة ومحفوفة بالمخاطر والعدوان.

ولن تعرف معاني السعادة والأمل والأمان , لأن طاقة العدوان لا يمكن حبسها , بل لابد من تصريفها وتحويلها إلى مشاريع ذات فائدة مشتركة , لكن هذا الخيار يبدو صعبا , فما عرفته البشرية , وإنما أمعنت في القتل والصراع والحروب ومنذ فجر التاريخ.

ولا يمكن تهذيب أو تغيير هذا السلوك الغريزي المجهول الدوافع والنوايا والغايات , ذلك أن قدرات الأرض أقوى من قدرات مخلوقاتنا التي في واقع الحال تمتلكها وتتحكم بمصيرها , وتلك حالة تحلق في فضاءات اللأدري.

فالحرب الكونية لواقعة حتما مهما توهمت القوى العملاقة بأنها تمتلك حكمة وحلما , فلا بد من مجنون قادم وأراه يلوح في أفق التدايعات والتطورات , وسيكون الطاقة المسعورة والقوة المفلوتة التي ستجعل القوى الأخرى معها أو ضدها , وبهذا يبدأ الصراع الإهلاكي المرعب الشديد الذي لا مثيل له , ولن يتكرر إلا بعد عشرات القرون , لأن الأرض ستتنقض ما على ظهرها وتتمتع بنيران الجحيم لبضعة عقود وهي تنادي هل من مزيد!!

تلك طبائع القرون وسلوك الأرض الدوّارة في بحر المجهول , مرعوبة من وحوش كونية كاسرة تطمع بلحمها البشري اللذيذ!!

فهل سنترحم لكي تسعد بنا الأرض وترحمنا!؟

ثالثا: المحنة البشرية!!

ما أن إنتهت الحرب الباردة بسقوط الإتحاد السوفيتي , وتوهمت الدنيا بأنها ذات قطب واحد لما يزيد على عقدين , حتى إنطلقت نظريات المتوهمين بأن المعركة القادمة ستكون مع الدين!؟

فنهضت الرؤى والتصورات والآليات والمشاريع والمخططات , وبعد حروب وحروب , وجدت البشرية نفسها في محنة مصيرية قاسية.

ذلك إن المنظرين الذين إندفعوا في مخططاتهم وتصوراتهم , حسبوا الدين حزبا أو عقيدة كأي عقيدة قابلة للسقوط.

وقد أصابهم الإتحاد السوفيتي بسقوطه السريع بمقتل , وبإضطرابات فكرية وتقديرية مدمرة.

ووفقا لما خبروه من آليات الصراع معه , إنطلقوا في مخططات صراعمهم الجديد , فانتهت الأمور إلى ما هي عليه الآن , ووجد الساحر سحره قد إنقلب عليه.

وفي محنة التورط الديني , إنتقلت البشرية إلى مرحلة مصيرية خطيرة , ربما ستعيدها قرونا عديدة

متفاعلة , فما يحصل في أي مكان منه يؤثر بكامله , بسبب الثورة المعلوماتية التواطعية التي لم تعدها البشرية من قبل

أن القرن الحالي سيستخدم فيه الصراع الفاسي وبموجات تصعيدية فائقة , وسيكون عدها مرهونا بقوتها وعنفوانها

لن تعرف معاني السعادة والأمل والأمان , لأن طاقة العدوان لا يمكن حبسها , بل لابد من تصريفها وتحويلها إلى مشاريع ذات فائدة مشتركة

هذا الخيار يبدو صعبا , فما عرفته البشرية , وإنما أمعنت في القتل والصراع والحروب ومنذ فجر التاريخ.

أن قدرات الأرض أقوى من قدرات مخلوقاتنا التي في واقع الحال تمتلكها وتتحكم بمصيرها , وتلك حالة تحلق في فضاءات اللأدري.

هل سنترحم لكي تسعد بنا الأرض وترحمنا!؟

في خضم المؤثرات العفائدية الإنفعالية المؤزرّة بالإعلام الموجه الفعال المتمكن من عقول الناس , فإن قدرات الحكمة والعلم والرشاد , باتت واهنة ضعيفة

وبما أنها قد إمتلكت أدوات الفناء الشامل , فأنها قد أصبحت على شفا حفرة المصير المبيد .
وفي خضم المؤثرات العقائدية الإنفعالية المؤزرة بالإعلام الموجه الفعال المتمكن من عقول الناس ,
فأن قدرات الحكمة والحلم والرشاد , باتت واهنة ضعيفة ومدانة .
لأن معزوفات الرقص على أكتاف الموت , تتعالى أنغامها وتتنوع ألحانها , وترافقها طبول الحرب
الصاخبة الإيقاع والضرب الجنوني الفتاك .

فإلى أين سيأخذ البشرية جنونها الفظيع , وإنطلاقها الحامي الشديد في دروب الهلاك البديع .
البشرية التي أصبحت مدججة بالسلاح والمتفجرات , والمبيدات الفتاكة الخاطفة للأنفاس كلمح البصر ,
حتى أمست المجتمعات في مآزق الخوف والقلق , والتوجس والشك وفقدان الأمن والأمان والسلام .
فما عاد البشر هنيئًا بما وصل إليه من أسباب السعادة والرفاهية والتقدم وال عمران , لأن الموت صار
قائمًا ومباغتًا له أينما حلّ وكان .

وحفت المخاطر أرجاء الدنيا ووسائلها ومبتكراتها , ومنجزاتها , وأصبحنا على حافة إنهيار القوانين ,
وإحتراق الدساتير , وإنحصار أمارة السوء التي فينا , وسيادتها على المكان والزمان .
وبهذا ستزأر وحوش الغاب في طرقاتها الظلماء , وسيحل الفظيع والشقاء .

فعندما يتحول البشر إلى قنبلة , فإن الحياة تكون مقبرة!!

فهل من صحوه ضمير , ونهضة أخلاق , وعودة قيم , وسيادة عدل , وشعور ببعض المعاني
الإنسانية , بدلا من التماذي بالقوة العدوانية!!

حفت المخاطر أرجاء الدنيا
ووسائلها ومبتكراتها , ومنجزاتها
, وأصبحنا على حافة إنهيار
القوانين , وإحتراق الدساتير ,
وإنحصار أمارة السوء التي فينا ,
وسياستها على المكان والزمان

هل من صحوه ضمير , ونهضة
أخلاق , وعودة قيم , وسيادة
عدل , وشعور ببعض المعاني
الإنسانية , بدلا من التماذي
بالقوة العدوانية!!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa250-151019.pdf>

*** **

مؤسسة العلوم النفسية العربية

جائزة " قتيبة شلبي " لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2019

تتشرفه شبكة العلوم النفسية العربية بإطلاق اسم:

" البروفيسور قتيبة شلبي "

(الطب النفسي، العراق / أمريكا)

على جائزتها للعام 2019 المنصبة للأعمال العلمية في الطب النفسي

تقديرًا لمسيرته العلمية المميزة

واعترافًا لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفسي الشرعي على المستوى العالمي

دعوة لتقديم الترشيحات للجائزة

الترشح للجائزة من بداية من 01 جانفي 2019 الى 30 نوفمبر 2019

شروط الترشح

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf

إرتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsynet.com/arabpsynet.php?p=2>